إفشاء أسرار

الجماعة المجاهدة

عبد المجيد حمود عامر

(أبو البراء الإبي)





1443 هـ 2021 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

إفشاء أسرار

الجماعة المجاهدة

بقلم الشيخ المجاهد:

عبد المجيد حمود عامر

(أبي البراء الإبي)

– تقبله الله –

بيت المقدس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن من أخطر الأشياء على الجماعة المجاهدة إفشاء أسرارها من قبل بعض أفرادها، والمحافظة على أسرار الجماعة المجاهدة من أسباب النصر، والجماعة التي لا تكتم أسرارها، جماعة لا تنهض ولا تنتصر.

قال الماوردي رحمه الله في تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك: " وليس يصح الصبر في الأمور بترك التسرع إليها دون كتمان السر فيها فهو أقوى أسباب الظفر بالمطالب وأبلغ في كيد العدو الموارب " أ هـ.

إن الحرب على هذه الأمة الإسلامية وخصوصا على الجماعة المجاهدة، لم تزل ولن تزال مستمرة إلى قيام الساعة، لا يَكلون ولا يَملون، كلما أُحبط لهم مخطط، جددوا مخططا آخر، وكلما هُزموا في جبهات، فتحوا جبهات أُخر، من أجل تفريق الصف، وتشتيت الكلمة، وتضييع الجهود، وهذا المكر والكيد من أعداء الأمة سنة ماضية وباقية، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: 217].

قال سيد قطب رحمه الله تعالى عند كلامه عند هذه الآية: " وتتنوع وسائل قتال هؤلاء الأعداء للمسلمين وأدواته ولكن الهدف يظل ثابتاً. أن يردوا المسلمين الصادقين عن دينهم إن استطاعوا. وكلما انكسر في يدهم سلاح انتضوا سلاحاً غيره وكلما كلّت في أيديهم أداة شحذوا أداة غيرها.. والخبر الصادق من العليم الخبير قائم يحذر الجماعة المسلمة من الاستسلام وينبهها إلى الخطر ويدعوها إلى الصبر على الكيد والصبر على الحرب وإلا فهي خسارة الدنيا والآخرة والعذاب الذي لا يدفعه عذر ولا مبرر" أ هـ.

أيها الأخ المجاهد اعلم رعاك الله: أنه والله ما تسلط علينا الأعداء اليوم إلا بسبب كثرة اختلافنا، وما تمكنوا في رقاب المسلمين إلا بتضارب آرائنا وتحكيم عقولنا وأهوائنا، وانتشار

الأحقاد الشخصية والنزعات الفردية، قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في الفتاوى: " وهذا التفريق الذي حصل بين الأمة علمائها ومشايخها؛ وأمرائها وكبرائها هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها. وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة: 14]، فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا؛ فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب" أ هـ.

قال الغزالي رحمه الله في احياء علوم الدين: " إفشاء السر خيانة وهو حرام إذا كان فيه إضرار ولؤم".

وكلما كان السر يتعلق بالجماعة كان حرمته أكبر وأشنع.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (83)﴾ [النساء: 83].

قال سيد قطب رحمه الله تعالى عند هذه الآية: " والصورة التي يرسمها هذا النص هي صورة جماعة في المعسكر الإسلامي لم تألف نفوسهم النظام ولم يدركوا قيمة الإشاعة في خلخلة المعسكر.

وفي النتائج التي تترتب عليها وقد تكون قاصمة لأنهم لم يرتفعوا إلى مستوى الأحداث ولم يدركوا جدية الموقف وأن كلمة عابرة وفلتة لسان قد تجر من العواقب على الشخص ذاته وعلى جماعته كلها ما لا يخطر له ببال وما لا يتدارك بعد وقوعه بحال!

أو ربما لأنهم لا يشعرون بالولاء الحقيقي الكامل لهذا المعسكر وهكذا لا يعنيهم ما يقع له من جراء أخذ كل شائعة والجري بها هنا وهناك وإذاعتهم حين يتلقاها لسان عن لسان سواء كانت إشاعة أمن أو إشاعة خوف فكلتاهما قد يكون لإشاعتها خطورة مدمرة " أ هـ.

وقال أيضاً رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15)﴾ [النور: 15] "وهي صورة فيها الخفة والاستهتار وقلة التحرج وتناول أعظم الأمور وأخطرها، بلا مبالاة ولا اهتمام.

"إذ تلقونه بألسنتكم " لسان يتلقى عن لسان بلا تدبر ولا ترو ولا فحص ولا إمعان نظر. حتى لكأن القول لا يمر على الآذان ولا تتملاه الرؤوس ولا تتدبره القلوب! " وتقولون بأفواهكم " لا بوعيكم ولا بعقلكم ولا بقلبكم! إنما هي كلمات تقذف بها الأفواه قبل أن تستقر في المدارك وقبل أن تتلقاه العقول" أ هـ.

لم يكن أحد من قوم فرعون على علم أن موسى هو من قتل القبطي حتى أفشى عليه الإسرائيلي ذلك فسمعه القبطي فأتى فرعون فأخبره بذلك ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: 19].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69)﴾ [الكهف: 69] وجهان: أحدهما: لا أبتدئ بالإنكار حتى تبدأ بالإخبار. الثاني: لا أفشي لك سراً ولا أدل عليك بشراً. (تفسير الماوردي).

وقال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (69)﴾ [يوسف: 69] أسر يوسف لأخيه بنيامين بسر، فحفظ بنيامين للسر، لأنه لو أفشى السر لانتهى الأمر، وذكر المفسرون أنه أخبره بما سيفعل، تهيئة له إذا اتهم بالسرقة، وأمثال تلك التهم تحتاج إلى استعداد نفسي، ليحسن التعامل معها البريء البعيد عنها.

وانظر كيف كان الصحابة يتعاملون مع سر رسول الله ﷺ القائد العام للمسلمين.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: "أسرَّ إلي النبي ﷺ سِراً، فما أخبرت به أحداً بعده، ولقد سألتني أم سليم فما أخبرتها به" رواه البخاري، وأم سليم هي أم أنس. وفي رواية أنها سألت أنساً عن حاجة النبي ﷺ التي أرسل أنساً فيها فقال: إنها سر، فقالت له: لا تخبر بسر رسول

الله ﷺ أحداً، وفي رواية أن أنساً قال لثابت البناني: "والله لو حدثت به أحداً لحدثتك يا ثابت.".

قال القرطبي في المفهم: " وكتمان أنس سرَّ رسول الله ـ ﷺ ـ عن أمه دليل على كمال عقله، وفضله، وعلمه مع صغر سنه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء" أ هـ.

وعن عبد الله بن عمر: أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة (أي مات زوجها) قال عمر: فأتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة، فقال: سأنظر في أمري، فلبث ليالي، ثم لقيني، فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إليَّ شيئاً، وكنت أوجد عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي، ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر، فقال: لعلك وجدت عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال عمر: قلت: نعم، قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليَّ إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركها قبلتها.

وفي رواية أحمد: وكان سراً فكرهت أن أفشي السر.

والذي يظهر أن السر كان بسيطاً، بل ربما لو ذكره أبو بكر لعمر رضي الله عنهما لسُر عمر بهذا الخبر ولفرح فرحاً شديدا لكن هذا معنى كتمان السر تجلى من أبي بكر الصديق.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله؟ فقال مرحبا بابنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم إنه أسر إليها حديثا فبكت، فقلت لها: استخصك رسول الله حديثه ثم تبكين؟!! ثم إنه أسر إليها حديثا فضحكت فقلت: ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن فسألتها عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله، حتى إذا قبض النبي سألتها، فقالت: إنه أسرَّ إليَّ فقال: إن جبريل عليه السلام كان يعارضني بالقرآن في كل عام مرة، وإنه عارضني به العام مرتين، ولا أراه إلا قد حضر أجلي،

وإنكِ أول أهل بيتي لحوقاً بي، ونِعم السلف أنا لك، فبكيتُ لذلك، ثم قال: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء المؤمنين؟ قالت: فضحكت لذلك" رواه أحمد وصححه الألباني.

والمتأمل في حرص رسول الله ﷺ على السريَّة التامة في العمل العسكري يجد العجب العجاب، ففي رجب سنة 2 هـ، الموافق يناير سنة 624م، بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش وكتب له كتاباً، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه، فسار عبد الله ثم قرأ الكتاب بعد يومين، فإذا فيه: "إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها عير قريش وتعلم لنا من أخبارهم" فقال: سمعاً وطاعة، وأخبر أصحابه بذلك، وأنه لا يستكرههم، فمن أحب الشهادة فلينهض، ومن كره الموت فليرجع، وأما أنا فناهض، فنهضوا كلهم.

بل إن موقف الرسول ﷺ في قضية حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه عند فتح مكة، حينما أرسل الرسالة إلى قريش يخبرهم بعزم الرسول على الفتح، فتح مكة لدليل على عناية الرسول عليه الصلاة والسلام بكتمان الأسرار.

وهذا الموقف يصنف باصطلاحات العصر الحديث بـ (الخيانة العظمى) أوبـ (إفشاء أسرار عسكرية).

بل إن إفشاء أسرار الجماعة المجاهدة يُعتبر من الإفساد في الأرض، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11)﴾ [البقرة: 11].

قال أبو السعود رحمه الله في تفسيره: "... والفساد في الأرض هيج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن أحوال العباد، واختلال أمر المعاش والمعاد، والمراد بما نهوا عنه ما يؤدي إلى ذلك من إفشاء أسرار المؤمنين إلى الكفار وإغرائهم عليهم وغير ذلك من فنون الشرور ". أ هـ.

وقد عُدَّ في قصة أبي لبابة في إفشائه لسر رسول الله ﷺ خيانة، عندما بعث بنو قريظة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أن ابعث لنا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس نستشيره في أمرنا، فأرسله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال والنساء والصبيان يبكون في وجهه، فرقَّ لهم، فقالوا: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم مُحَّد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح، قال أبو لبابة: فو الله ما زالت قدماي حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه، ولم يأتِ النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم حتى ربط في المسجد إلى عمود من عمده، وقال: والله لا أبرح مكاني حتى يتوب الله عليَّ مما صنعت، وأعاهد الله ألا أطأ أرض بني قريظة أبداً، ولا يراني الله في بلد قد خنت الله ورسوله فيه أبدا.

إن إفشاء أسرار المجاهدين تُعتبر خيانة كبيرة، كما قال الإمام ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر عدة أقوال في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (27)﴾ [الأنفال: 27] قال: " والصحيح أن الآية عامة، وإن صح أنها وردت على سبب خاص، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء، والخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار اللازمة والمتعدية" أ هـ.

قال القاسمي في محاسن التأويل: " ويدخل في خيانة الله تعطيل فرائضه، ومجاوزة حدوده، وفي خيانة رسوله رفض سنته، وإفشاء سره للمشركين، وفي خيانة أمانتهم الغلول في المغانم، أي: السرقة منها، وخيانة كل ما يؤتمن عليه الناس من مال أو أهل أو سر، وكل ما تعبدوا به " أ هـ.

والله تعالى عاتب عائشة أو حفصة لأنه ﷺ أسر إلى إحداهما أنه حرم على نفسه العسل، وقيل: إنه حرم على نفسه جاريته مارية، فأفشت إحداهما سره إلى الأخرى، فأنزل الله تعالى آيتين، وجعل إفشاءهما لسر رسول الله ﷺ جرماً ينبغي المسارعة إلى التوبة منه، وهكذا أدبهما الله تعالى بهذا الأدب الجم، فأحسن تأديبهما فقال تعالى:﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ

أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (3) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (4)﴾ [التحريم: 3-4].

قال القاسمي: "أشار تعالى إلى غضبه لنبيّه، صلوات الله عليه، مما أتت به من إفشاء السرّ إلى صاحبتها، ومن مظاهرتهما على ما يقلق راحته، وأن ذلك ذنب تجب التوبة منه".

ولك أن تنظر إلى أمانة علي بن أبي طالب في حفظ الأسرار مع صغر سنه وصباه، في وقت هذه الحادثة، قال ابن إسحاق: ثم إن علي بن أبي طالب جاء بعد ذلك بيومين فوجدهما يصليان فقال علي: ما هذا يا مُحَّد؟ فقال النبي ﷺ: دين الله الذي اصطفى لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده، وإلى عبادته والكفر باللات والعزى، فقال له علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمراً حتى أحدث أبا طالب، فكره رسول الله ﷺ أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره، فقال له: يا علي إذا لم تسلم فاكتم، فمكث علي تلك الليلة ثم إنَّ الله أوقع في قلب علي الإسلام فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ فأسلم."

متى كانت النصيحة يوماً من الأيام فضيحة، ومتى كان تصحيح الخطأ في شريعتنا معول هدم، وهل هناك فرق في النصيحة لمن ارتكب خطأً منهم، بين الأمراء والأفراد، وبين التعيير وكشف المستور، فعن شقيق بن سلمة، عن أسامة بن يزيد رضي الله عنهما قال: قيل له: ألا تدخل على عثمان فتكلمه فيما يصنع؟! فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم؟! والله، لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه. هذا لفظ مسلم، وعند البخاري: إني أكلمه في السر، دون أن أفتح باباً لا أكون أول من فتحه.

قال القاضي عياض في شرح مسلم: "مراد أسامة أنه لا يفتح باب المجاهرة بالنكير على الإمام، لما يخشى من عاقبة ذلك، بل يتلطف به وينصحه سرا، فذلك أجدر بالقبول". أ هـ

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: " وقال قد كلمته سراً دون أن أفتح باب الإنكار على الأئمة علانية خشية أن تفترق الكلمة، ثم عرفهم بأنه لا يداهن أحداً ولو كان أميراً، بل يُنصح له في السر جهده". أ هـ

قال الشوكاني رحمه الله: " ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل: أن يناصحه ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد" أ هـ. (السيل الجرار).

إن من المجاهدين من يكون أميناً على أموال الجماعة، لكنه في المقابل ليس أميناً على أسرارهم، قال الجاحظ في تهذيب الأخلاق: "كتمان السر، وهذا الخلق مركّب من الوقار وأداء الأمانة، فإنّ إخراج السر من فضول الكلام، وليس بوقور من تكلّم بالفضول.

وأيضا فكما أنَّه من استودع مالاً فأخرجه إلى غير مودعه فقد خفر الأمانة، كذلك من استودع سراً فأخرجه إلى غير صاحبه فقد خفر الأمانة، وكتمان السر محمود من جميع النّاس وخاصّة ممّن يصحب السّلطان، فإنَّ إخراجه أسراره مع أنّه قبيح في نفسه يؤدّي إلى ضرر عظيم يدخل عليه من سلطانه" أ هـ.

وكان المأمون يقول: الملوك لا تحتمل ثلاثة أشياء: إفشاء السر، والتعرض للحريم، والقدح في الملك. (مختصر تأريخ دمشق).

وطلب بعض الملوك كاتباً لخدمته، فقال للملك: أصحبُك على ثلاث خِلالٍ، فقال: ما هي؟

- فقال: لا تهتك لي سِتراً، ولا تشتُم لي عرضاً، ولا تقبَل فيَّ قول قائل.

- فقال: هذه لك عندي، فما لي عندك؟

- فقال لا أُفشي لك سرّاً، ولا أُأخر عنك نصيحة، ولا أُوثر عليك أحداً.

-قال: نِعم الصاحب المستصحب أنت!. (صبح الأعشى).

قال أبو الحسين هلال بن المحسن الصابئ الحراني (المتوفى: 448هـ) في كتابه رسوم دار الخلافة: " وَإِيَّاك وإعادة حَدِيث تسمعه أَو إفشاء سر تستودعه، فقد قيل: إنَّ السُّلْطَان يغْفر كل ذَنْب إِلَّا مَا كَانَ من إفشاء حَدِيث، أَو فَسَاد حرمه، أَو قدح فِي دولة، وعَلى ذَاك قَالَ المعتضد بِاللَّه صلوَات الله عَلَيْهِ لِأَحْمَد بن الطّيب السَّرخسِيّ وَقد قبض عَلَيْهِ عِنْد خُرُوجه إِلَى الْقَاسِم بن عبيد الله بسره فِي أمره: أنت قلت لي أنَّ السُّلْطَان يعْفُو عَن كل أَمر مَا دون الْخُرُوج بسره، أَو الْإِفْسَاد لحرمه، أَو السَّعْي على دولته، وَأَنا أحملك على حكمك وَقَتله" أ هـ.

وفي حديث عائشة في صحيح البخاري قالت: قال النبي ﷺ لأبي بكر: أخرج من عندك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله.

قال في طرح التثريب: " سببه شدة التحرز في أمر الهجرة؛ لئلا يعوق عنها عائق، فإن فشو السر سبب لحصول المفسدة، فلما أعلمه الصديق بأنه ليس هناك من يتوقع منه إفشاء السر بقوله إنما هم أهلك تكلم بما عنده " اهـ.

قال بعض الحكماء: أربعة من علامات اللؤم: إفشاء السر، واعتقاد الغدر، وغيبة الأحرار، وإساءة الجوار، وقالت الحكماء: صدرك أوسع لسرك.

وقالوا: سرك من دمك، يعنون أنه ربما كان في إفشاء السر سفك الدم.

وقالوا: أصبر الناس من صبر على كتمان سره، فلم يبده لصديق فيوشك أن يصير عدواً فيذيعه. (نهاية الأرب في فنون الأدب).

قال الماوردي في أدب الدنيا والدين: " وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه، ومنع من نيل مطالبه، ولو كتمه كان من سطوته آمنا، وفي عواقبه سالما، ولنجاح حوائجه راجيا ". أ هـ

قال الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: 118] وفي هذه الآية الكريمة إبعاد أهل النفاق والخونة عن أسرار الدولة.

• جرت عادة الجيوش في معظم دول العالم إعطاء قادة الجيش ومن يحملون أسرار الدولة حبوباً سامة سريعة المفعول يتناولونها إذا ما تعرضوا للأسر، وخشوا أن يمارس ضدهم وسائل تعذيب لاستخراج ما بحوزتهم من أسرار تخص الدولة وتجهيزاتها، وربما كانت أسراراً خطيرة للغاية إذا ما عرفها العدو أصاب الأمة في مقتل، فهل يجوز للمسلم أن ينتحر في مثل هذه الحالة؟

ولِعظم حرمة إفشاء أسرار الجماعة المجاهدة ذهب بعض العلماء المعاصرين إلى جواز قتل المجاهد نفسه إذا أُسر خوفاً من إخراج معلومات تضر المجاهدين، فقد سُئل الشيخ العلامة مُحَمَّد بن إبراهيم رحمه الله تعالى عن ما يلاقيه أهل الجزائر من المجاهدين، عندما يقعون في الأسر على أيدي الفرنسيون من العذاب والنكال، حتى يعترفوا، ويدلوا على المسلمين، وأسرارهم، فهل لهم أن ينتحروا لكي لا يخبروا بسر المسلمين فكانت الإجابة ما يلي: الفرنساويون في هذه السنين تصلبوا في الحرب، ويستعملون (الشرنقات) إذا استولوا على واحد من الجزائريين؛ ليعلمهم بالذخائر والمكامن، ومن يأسرونه قد يكون من الأكابر فيخبرهم أنَّ في المكان الفلاني كذا وكذا.

وهذه الإبرة تسكره إسكاراً مقيداً، ثم هو مع هذا كلامه ما يختلط، فهو يختص بما يبينه بما كان حقيقة وصدقاً.

جاءنا جزائريون ينتسبون إلى الإسلام يقولون: هل يجوز للإنسان أن ينتحر مخافة أن يضربوه بالشرنقة، ويقول: أموت أنا وأنا شهيد – مع أنهم يعذبونه بأنواع العذاب– فقلنا لهم: إذا كان كما تذكرون فيجوز، ومن دليله (آمنا برب الغلام) وقول بعض أهل العلم: إن السفينة إذا خيف غرقها بالجميع جاز أن يلقى بعضهم، واستدلوا بقصة يونس عليه السلام) إلخ إلا أن فيه التوقف من جهة قتل الإنسان نفسه، ومفسدة ذلك أعظم من مفسدة هذا، فالقاعدة محكمة، وهو مقتول ولا بد" أ هـ. من فتاوى الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم (ج6 ص207 – 208).

وممن أجاز هذه الصورة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، والشيخ عبد العزيز الجربوع، والشيخ حسن أيوب في كتابه الجهاد والفدائية في الإسلام، والدكتور عجيل النشمي.

قال العباس بن عبد المطلب ﷺ لابنه عبد الله: إني أرى هذا الرجل – يعني عمر بن الخطاب – يقدمك على الأشياخ فاحفظ عني خمسا: لا تفشينَّ له سرا، ولا تغتابنَّ عنده أحدا، ولا تجرينَّ عليه كذبا، ولا تعصينَّ له أمرا، ولا يطَّلِعنَّ منك على خيانة.

قال ابن الأزرق رحمه الله في بدائع السلك في طبائع الملك: "أبو بكر بن حزم: إنما يتجالس المتجالسون بالأمانة، فلا يحل لأحد أن يفشي على صاحبه ما يكره". أ هـ

• اعلم أيها الأخ المجاهد: أن بعض العلماء أجاز لك أن تنكر إذا سُئلت عن سر هل تعرفه، بل أجاز بعضهم أن تحلف الأيمان المغلظة أنك لا تعرف هذا السر، كما قال الغزالي: لمستودع السر أن ينكره، وإن كان كاذباً، وليس الصدق واجباً في كل مقام، كما يجب للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره، فكذلك يجب أن يخفي عيوب أخيه وأسراره، قال: وإن احتاج إلى الكذب، فله أن يفعل ذلك في حق أخيه، فإنه بمنزلته، وهما كشخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن.

قلت: كما روى أنه قيل لبعضهم: كيف تخفي السر؟ فقال: أجحد المخبر وأحلف للمستخبر، فزاد الحلف للضرورة" أ هـ.

• أيها الأخ المجاهد: لا تُعرف الرجولة الحقة إلا عند حفظ أسرار الجماعة، كما قال الطرطوشي: واعلم أن كتمان الأسرار يدل على جواهر الرجال، وكما أنه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها، كذلك لا خير في الإنسان إذا لم يملك سره، قلت: هو من معنى قولهم: صدور الأحرار قبور الأسرار.

حتى لو كانت لعدو كما قيل:

سر العدو وسر الخل ما كتما　　　كلاهما ظن بي خيراً فأودعني

عند اطلاع إلى خلق من البشر سراً فلست بمفشيه مدى عمري

وقال ابن الأزرق أيضاً في بدائع السلك في طبائع الملك: "من المنقول في الوصية بحفظ سر السلطان وعقوبة من أفشاه، حكايتان:

الحكاية الأولى: قال العتبي: أسر معاوية إلى عثمان بن عنبسة حديثاً.

قال عثمان فقلت لأبي: إن أمير المؤمنين أسر إليَّ حديثاً، أفأحدثك به؟

قال: لا.

قلت: ولم؟

قال: لأنه من كتم حديثاً، كان من الخيار له، ومن أظهره، كان من الخيار عليه، فلا تجعل نفسك مملوكاً بعد أن كنت مالكاً.

قلت: أيدخل هذا بين الرجل وبين أبيه؟

قال: نعم، ولكن أكره أن تذلل لسانك بإفشاء السر.

قال: فحدثت به معاوية، فقال: أعتقتك أخي من رق الخطأ.

الحكاية الثانية: كان لعثمان ﷺ كاتب، يُقال له حمدان فاشتكى عثمان.

فقال: اكتب العهد من بعدي لعبد الرحمن بن عوف.

فانطلق حمدان، وقال لعبد الرحمن بن عوف: البشرى.

فقال عبد الرحمن: ولك البشرى، ماذا؟! فأخبره حمدان الخبر، فانطلق عبد الرحمن وأخبر عثمان بذلك.

فقال عثمان ﷺ: عسى الله أن أشفاني لا يكاتبن حمدان أبداً، ونفاه إلى البصرة، فلم يزل بها حتى قتل". أ هـ

• وعندما تقرأ قصة تضحية ذلك الرجل تتعجب أشد العجب، وتقول: هل بقي من هؤلاء الرجال، إن كان بقي من هؤلاء الرجال، فما زالت الأمة بخير ولله الحمد، فعندما دخل العدو أرضه ووجدوه مع ابن له، فقالوا له: دلنا على قومك! فقال لهم: أخشى إن دللتكم على عورات قومي وأسرارهم أن يخبر هذا الغلام عني، قالوا: وما الحل؟ فقال: اقتلوه أولاً، ثم سأخبركم بكل شيء.

فقتلوا ابنه وهو ينظر إليهم، فلما تأكد من قتل ولده، وعرف عزم العدو على قتل قومه، قال: أما الآن فاعملوا ما شئتم.! كنت أخشى أن تعذبوا ابني فيخبركم بكل شيء تريدونه، أما الآن فقد أمنت، فتعجبوا لهذه التضحية، وتركوا قومه مهابة وإجلالاً له.

• أيها الأخ المجاهد: ما بالنا اليوم نقبل الأخبار ممن هب ودب من الصالح والطالح، من الثقة وغير الثقة، من المخلص والحاقد، من سليم القلب ومريض القلب، لماذا انتكست الفطر؟! إذا كان علماؤنا يقولون: أن من كان مشهوداً له بالخير والاستقامة، وخاصة العلماء أو أهل الجهاد، فيجب على الإنسان أن يتق الله، ويمسك لسانه عن الخوض في أعراضهم، خاصة العلماء المشهود لهم بالخير، وحسن المعتقد، والمجاهدين الصادقين، وأن يتثبت في الأخبار التي تنقل عنهم.

حتى إنهم يقولون ويشددون حتى في غير أهل الخير من أهل الفساد، أنه إذا نقل لك عنهم خبر، فيجب عليك ألا تزيد عليه، حتى ولو كان عدواً له كما قال الله تعالى ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: 8].

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: " {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ} أي لا يحملكم {شَنَانُ قَوْمٍ} أي بغضهم {عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ} كما يفعله من لا عدل عنده ولا قسط، بل كما تشهدون لوليكم فاشهدوا عليه كما تشهدون على عدوكم، فاشهدوا له فلو كان كافراً أو مبتدعاً فإنه يجب العدل فيه، وقبول ما يأتي به من الحق، لا لأنه قله ولا يرد الحق لأجل قوله، فإن هذا

ظلم للحق {اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}: أي كلما حرصتم على العدل، واجتهدتم في العمل به كان ذلك أقرب لتقوى قلوبكم، فإن تم العدل كملت التقوى" أ هـ.

• وإنَّ المتأمل في التأريخ يجد أن البذرة الأولى للاختلاف والافتراق، هي مقتل الصابر المحتسب عثمان بن عفان ﷺ، وكان مقتله بسبب أكاذيب لفقت عليه، أو بعضها صحيحة لكن له عذر شرعي فيها، مثل تخلفه عن بدر؛ لأنه كان يمارض زوجته رقية حتى ماتت، وقد أذن له رسول الله ﷺ، بل وأسهم له، وسأوردها عليك لتنظر كم حجم الأكاذيب التي دُسَّت على عثمان ﷺ.

1. ضربه لعمار حتى فتق أمعاءه.

2. ولابن مسعود حتى كسر أضلاعه، ومنعه عطاءه.

3. وابتدع في جمع القرآن وتأليفه، وفي حرق المصاحف.

4. وحمى الحمى.

5. وأجلى أبا ذكر إلى الربذة.

6. وأخرج من الشام أبا الدرداء.

7. ورَدَّ الحكم بن مروان بعد أن نفاه رسول الله ﷺ.

8. وولَّى معاوية، "وعبد الله بن عامر بن كريز"، ومروان، وولَّى الوليد بن عقبة، وهو فاسق ليس من أهل الولاية.

9. وأعطى مروان خمس أفريقية.

10. وكان عمر يضرب بالدرة وضرب هو بالعصا.

11. وعلا على درجة رسول الله ﷺ، وقد انحط عنها أبو بكر وعمر.

12. ولم يحضر بدرًا، وانهزم يوم أحد، وغاب عن بيعة الرضوان.

13. ولم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان "الذي أعطى السكين إلى أبي لؤلؤة، وحرضه على قتل عمر حتى قتله."

14. وكتب مع عبده على جهله كتاباً إلى ابن أبي سرح في قتل من ذكر فيه.

إنَّ الناظر لها من أول وهلة ربما حمل على عثمان ﷺ المبشر بالجنة، لكن عند التدقيق في صحة هذه الاتهامات يرى أن عثمان منها بريء. " راجع العواصم من القواصم" لابن العربي رحمه الله، وهو يفند هذه الاتهامات واحدة تلوى الأخرى.

• أيها الأخ المجاهد: اعلم حفظك الله ورعاك، أن هناك من يخرج أخبار وأسرار المجاهدين، في قالب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع أن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شروطاً وضوابطاً، منها:

- أن لا يكون الإنكار في الأمور التي يصح فيها الاجتهاد.

قال الإمام الغزالي رحمه الله من شروط الحسبة "أن يكون كونه منكرًا معلوماً بغير اجتهاد، فكل ما هو محل الاجتهاد فلا حسبة فيه" (إحياء علوم الدين).

وروى أبو نعيم بسنده عن الإمام سفيان الثوري –رحمه الله– قوله: "إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي اختلف فيه، وأنت ترى غيره فلا تنهه."

وقال النووي في الروضة: "ثم إن العلماء إنما ينكرون ما أجمع على إنكاره، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه، لأن كل مجتهد مصيب، أو المصيب واحد ولا نعلمه، ولم يزل الخلاف بين الصحابة والتابعين في الفروع، ولا ينكر أحد على غيره، وإنما ينكرون ما خالف نصاً أو إجماعاً أو قياساً جلياً."

ويستثني القاضي أبو يعلى من ذلك إذا كان الخلاف ضعيفاً في مسألة من المسائل، وقد يؤدي عدم الإنكار إلى محظور متفق عليه، إذ يقول: "ما ضُعف الخلاف فيه، وكان ذريعة

إلى محظور متفق عليه كربا النقد، فيدخل في إنكار المحتسب بحكم ولايته" (الأحكام السلطانية).

ومنها: أن يكون الآمر عنده علم وحلم ورفق وحسن نية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في الفتاوى: " أن يقوم بالأمر والنهي على الوجه المشروع من العلم والرفق والصبر وحسن القصد وسلوك السبيل القصد فإن ذلك داخل في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ وفي قوله: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾. فهذه خمسة أوجه تستفاد من الآية لمن هو مأمور بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفيها المعنى الآخر، وهو إقبال المرء على مصلحة نفسه علما وعملا وإعراضه عما لا يعنيه كما قال صاحب الشريعة: ﴿مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ﴾ ولا سيما كثرة الفضول فيما ليس بالمرء إليه حاجة من أمر دين غيره ودنياه لا سيما إن كان التكلم لحسد أو رئاسة، وكذلك العمل فصاحبه إما معتد ظالم، وإما سفيه عابث، وما أكثر ما يصور الشيطان ذلك بصورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ويكون من باب الظلم والعدوان، فتأمل الآية في هذه الأمور من أنفع الأشياء للمرء وأنت إذا تأملت ما يقع من الاختلاف بين هذه الأمة علمائها وعبادها وأمرائها" أ هـ.

إن الناظر إلى الذي قتل عثمان بن عفان "هو عمرو بن الحمق عليه من الله ما يستحق"، جاء إليه وبه رمق، فطعنه تسع طعنات، وقال ثلاث لله، وست لما في نفسي عليه.

وقال أيضاً في الأمر بالمعروف: " من يريد أن يأمر وينهى إما بلسانه وإما بيده مطلقا، من غير فقه وحلم وصبر ونظر، فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يقدر عليه وما لا يقدر... فيأتي بالأمر والنهي معتقداً أنه مطيع في ذلك لله ورسوله، وهو معتد في حدوده " أ هـ.

ومنها: ألا يؤدي الإنكار إلى منكر أنكر منه، قال ابن القيم في إعلام الموقعين: " النبي – ﷺ – شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله،

فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم؛ فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، «وقد استأذن الصحابة رسول الله – ﷺ – في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ فقال: لا، ما أقاموا الصلاة» وقال: «من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعن يدا من طاعته» ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر؛ فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه " أ هـ.

• أيها الأخ المجاهد: إنما خرجت الخوارج على الأمة بالسيف في قالب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كم من مجاهد يأتيك متوجعاً فينخر في الجماعة المجاهدة، ويفت في عضدها، كالسوسة دون حسيب ولا رقيب، في قالب الغيرة والتوجع والحسرة على الجماعة، والخوف على الجماعة من السقوط والزوال، مع أن وراء الأكمة ما وراءها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في ذكر أصناف النَّاس في غيبة الآخرين: " ومنهم من يخرج الغيبة في قوالب شتى: تارة في قالب ديانة وصلاح، فيقول: ليس لي عادة أن أذكر أحداً إلا بخير، ولا أحب الغيبة ولا الكذب، وإنما أخبركم بأحواله، ويقول: والله؛ إنه مسكين، أو: رجل جيد، ولكن فيه كيت وكيت، وربما يقول: دعونا منه، الله يغفر لنا وله، وإنما قصده استنقاصه وهضماً لجنابه، ويخرجون الغيبة في قوالب صلاح وديانة، يخادعون الله بذلك كما يخادعون مخلوقاته، وقد رأينا منهم ألواناً كثيرة من هذا وأشباهه...

ومنهم من يحمله الحسد على الغيبة؛ فيجمع بين أمرين قبيحين: الغيبة، والحسد، وإذا أثنى على شخص أزال ذلك عنه بما استطاع من تنقصه في قالب دين وصلاح، أو في قالب حسد وفجور وقدح؛ ليسقط ذلك عنه.

ومنهم من يخرج الغيبة في قالب تمسخر ولعب ليضحك غيره باستهزائه ومحاكاته واستصغار المستهزأ به...

ومنهم من يخرج الاغتمام، فيقول: مسكين فلان، غمني ما جرى له وما تم له، فيظن من يسمعه أنه يغتم له ويتأسف وقلبه منطو على التشفي به، ولو قدر لزاد على ما به، وربما يذكره عند أعدائه ليشتفوا به، وهذا وغيره من أعظم أمراض القلوب والمخادعات لله ولخلقه، ومنهم من يظهر الغيبة في قالب غضب وإنكار منكر، فيظهر في هذا الباب أشياء من زخارف القول، وقصده غير ما أظهر، والله المستعان " أ هـ.

قال ابن رجب في كتابه الفرق بين النصيحة والتعيير: " ومِن أظهرِ التعيير: إظهارُ السوء وإشاعتُه في قالب النصح وزعمُ أنه إنما يحمله على ذلك العيوب إما عاماً أو خاصاً، وكان في الباطن إنما غرضه التعيير والأذى فهو من إخوان المنافقين الذين ذمهم الله في كتابه في مواضع، فإن الله تعالى ذم من أظهر فعلاً أو قولاً حسناً، وأراد به التوصل إلى غرض فاسد يقصده في الباطن، وعدَّ ذلك من خصال النفاق، كما في سورة براءة التي هتك فيها المنافقين وفضحهم بأوصافهم الخبيثة: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾" اهـ.

• أيها الأخ المجاهد: يا من ائتمنت على أسرار المجاهدين، اعلم أن من السياسة الشرعية النظر في مآل الأمور وما ينتج عنها، قال الإمام الشاطبي رحمه الله في «الموافقات» في الاجتهاد: النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعاً، سواء كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، فقد يكون مشروعاً لمصلحة فيه تستجلب أو لمفسدة تُدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك، فإذا أطلق القول

في الأول بالمشروعية فربما أدى استجلاب المصلحة فيه إلى المفسدة تساوى المصلحة أو تزيد عليها، فيكون هذا مانعاً من إطلاق القول بالمشروعية، وكذلك إذا أطلق القول في الثاني بعدم مشروعية ربما أدى استدفاع المفسدة إلى مفسدة تساوي أو تزيد، فلا يصح إطلاق القول بعدم المشروعية، وهو مجال للمجتهد صعب المورد، إلا أنه عذب المذاق، محمود الغب جار على مقاصد الشريعة... فقد قال ﷺ في الحديث حين أشير عليه بقتل من ظهر نفاقه: «أخاف أن يتحدث الناس أن مُحَّدا يقتل أصحابه» وقوله: «لولا قومك حديث عهدهم بكفر لأسست البيت على قواعد إبراهيم» وبمقتضى هذا أفتى مالك الأمير حين أراد أن يرد البيت على قواعد إبراهيم فقال له: لا تفعل لئلا يتلاعب الناس ببيت الله.. وفى حديث الأعرابي الذي بال في المسجد أمر النبي ﷺ بتركه حتى يتم بوله وقال: «لا تزرموه» وحديث النهي عن التشديد على النفس في العبادة خوفاً من الانقطاع حيث يكون العمل في الأصل مشروعاً، لكن ينهى عنه لما يؤول إليه من المفسدة، أو ممنوعاً لكن يترك النهي عنه لما في ذلك من المصلحة، وكذلك الأدلة الدالة على سد الذرائع كلها فإنَّ غالبها تذرع بفعل جائز إلى عمل غير جائز، فالأصل على المشروعية لكن مآله غير مشروع، والأدلة الدالة على التوسعة ورفع الحرج كلها فإن غالبها سماح في عمل غير مشروع في الأصل لما يؤول إليه من الرفق المشروع ولا معنى للإطناب بذكرها لكثرتها واشتهارها" أ هـ.

• أيها الأخ المجاهد: لتعلم أن هناك أسرار في الجماعة لا يجوز أن يطلع عليها أحد من خارج الجماعة، وهناك أسرار يطلع عليها خواص الجماعة لا ينبغي أن يطلع عليها كل أفراد الجماعة، قال البخاري أيضاً: باب من خصَّ بالعلم قوماً دون قوم، كراهية أن لا يفهموا.

وقال علي (يعني بن أبي طالب): حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله. اهـ.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: " والمراد بقوله «بما يعرفون» أي يفهمون وزاد آدم بن أبي إياس في كتاب العلم له في آخره: «ودعوا ما ينكرون»، أي يشتبه عليهم فهمه، وكذا رواه أبو نعيم في «المستخرج»، وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة ومثله قول ابن مسعود: ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة، رواه مسلم.

وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة ونحوه عن حذيفة وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصة العرنيين؛ لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي.

وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة، وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب والله أعلم " أ هـ.

• أيها الأخ المجاهد: اعلم أن هناك معلومات ولو لم يقال لك أنها سر لا يجوز لك كشفها، فما كل ما يعلم يقال، قال الإمام الشاطبي في الموافقات في باب الاجتهاد: ومن هذا يعلم أنه ليس كل ما يعلم مما هو حق يطلب نشره، وإن كان من عِلم الشريعة، ومما يفيد علماً بالأحكام بل ذلك ينقسم، فمنه ما هو مطلوب النشر، وهو غالب علم الشريعة، ومنه ما لا يطلب نشره بإطلاق، أو لا يطلب نشره بالنسبة إلى حال أو وقت أو شخص، ومن ذلك علم المتشابهات والكلام فيها، فإن الله ذم من اتبعها، فإذا ذكرت وعرضت للكلام فيها فربما أدى ذلك إلى ما هو مستغنى عنه، وقد جاء في الحديث عن علي: حدثوا الناس بما يفهمون أتريدون أن يكذب الله ورسوله.. وحديث ابن عباس عن عبد الرحمن بن عوف قال: لو شهدت أمير المؤمنين أتاه رجل فقال: إن فلاناً يقول لو مات أمير المؤمنين لبايعنا فلاناً، فقال عمر: لأقومنَّ العشيةَ فأحذر هؤلاء الرهط الذين يريدون يغصبونهم، قلت: لا تفعل فإنَّ الموسم يجمع رعاع الناس، ويغلبون على مجلسك، فأخاف أن لا ينزلوها على

وجهها فيطيروا بها كل مطير، وأمهل حتى تقدم المدينة، دار الهجرة ودار السنة، فتخلص بأصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، ويحفظوا مقالتك، وينزلوها على وجهها، فقال: والله لأقومنَّ في أول مقام أقومه بالمدينة.. الحديث" أ هـ.

• أيها الأخ المجاهد: في الشريعة الإسلامية يعاقب كل من أفشى أسرار الدولة الإسلامية، ولك في قول الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله ﷺ حينما أفشى حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه سر رسول الله ﷺ: " دعني أضرب عنق هذا المنافق، فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، وفي رواية: فقد كفر، وفي رواية: بعد أن قال الرسول ﷺ: أوليس قد شهد بدراً؟ قال عمر: بلى ولكنه نكث وظاهر أعداءك عليك".

بل إنَّ في كل قوانين الدنيا حتى في قوانين الكفار عقوبة من أفشى أسرارها، إذا كانت أمريكا الكافرة حكمت بالقتل صعقاً على الكرسي الكهربائي على بعض علماء الذرة الذين كشفوا أسرارها لخصوم أمريكا، وعدوا هذه خيانة عظمى، ولم تشفع لهم ضمانات الحرية في النظام الديمقراطي! قررت قتل ذلك العالم الذى أفشى السر! لأنها تريد أن تحتكر هذا السلاح لنفسها حتى تسيطر على العالم كله.

• أيها الأخ المجاهد: كن كما قال بعض الحكماء: (قلوب الأحرار قبور الأسرار) وقيل: "أفشى رجل لصديق له سراً من أسراره، فلما فرغ قال له: حفظته؟ قال: لا، بل نسيته".

وقال الراغب الأصفهاني في الذريعة إلى مكارم الشريعة: "إذاعة السر من قلة الصبر، وضيق الصدر، وتوصف به ضعفة الرجال والصبيان والنساء".

• أيها الأخ المجاهد: إياك أن تفشي السر عند الغضب إذا استغضبت، قال ذو النون: ومن أفشى السر عند الغضب فهو لئيم.

كان أبو سعيد الثوري يقول: إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه ثم دُس عليه من يسأله عنك، فإن قال خيراً و كتم سراً فاصحبه.

وقيل:

لا يحفـــظ الســـر إلا كـــل ذي كـــرمٍ   والســـر عنـــد لئـــام النـــاس مبـــذولُ

قال الماوردي في أدب الدنيا والدين: "وفي الاسترسال بإبداء السر دلائل على ثلاثة أحوال مذمومة:

إحداها: ضيق الصدر، وقلة الصبر، حتى أنه لم يتسع لسر، ولم يقدر على صبر.

والثانية: الغفلة عن تحذر العقلاء، والسهو عن يقظة الأذكياء، وقد قال بعض الحكماء: انفرد بسرك ولا تودعه حازماً فيزل، ولا جاهلاً فيخون.

والثالثة: ما ارتكبه من الغدر، واستعمله من الخطر، وقال بعض الحكماء: سرك من دمك فإذا تكلمت به فقد أرقته". أ هـ

وأختم بوصية من الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله في الرياض الناضرة حيث قال: "كن حافظاً للسر، معروفاً عند الناس بحفظه، فإنهم إذا عرفوا منك هذه الحال أفضوا إليك بأسرارهم، وعذروك إذا طويت عنهم سر غيرك الذي هم عليه مشفقون، وخصوصاً إذا كان لك اتصال بكل واحد من المتعادين؛ فإن الوسائل لاستخراج ما عندك تكثر وتتعدد من كل من الطرفين، فإياك إياك أن يظفر أحد منهم بشيء من ذلك تصريحاً أو تعريضاً، واعلم أن للناس في استخراج ما عند الإنسان طرقاً دقيقة، ومسالك خفيفة؛ فاجعل كل احتمال وإن بعُد على بالك، ولا تؤت من جهة من جهاتك؛ فإن هذا من الحزم.

واجزم بأنك لا تندم على الكتمان، وإنما الضرر والندم في العجلة والتسرع، والوثوق بالناس ثقة تحملك على ما يضر". أهـ.

أسأل الله تعالى أن يوفقنا للعمل بما علمنا، وأن يعيذنا من اتباع الهوى وركوب مالا يُرتضى، وأن يعصمنا في الأقوال والأفعال من تزيين الشيطان لنا، وأن يقينا من الزلل، وأن يبصرنا بعيوبنا، وأن يرشدنا لقبول نصح الناصح، وسلوك الطريق الواضح، فما أسعد من ذُكر فتذكر، وبُصر بعيوبه فتبصر، وصلى الله على من بعثه بالدين القويم، والصراط المستقيم، فأكمل به الدين، وأوضح به الحق المستبين، مُحَمَّد بن عبد الله المصطفى الأمين، صلاة الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

بيت المقدس